مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية المجلد الأول العدد التجريبي (2017 م)
مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية
ردمد 0000-0000
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

تجربة تحفيظ القرآن فى المدارس القرآنية

بوادى مزاب

أ.د . مصطفى وينتن
جامعة غرداية
muouinten2002@gmail.com

ملخص

عرفت مدارس تحفيظ القرآن الكريم بوادي مزاب تطورا واضحا جليا، ابتدأت حلقة وكتَّابا على الطريقة التقليدية تسمى بمحاضر تحفيظ القرآن الكريم، ومع بوادر النهضة الحديثة، وبأثر من ظهور حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، وتطور مناهج التعليم، أصبحت هذه المحاضر هي النواة الأساسية الأولى للمدارس القرآنية منذ العقد الثالث من القرن العشرين، واتخذت شكلها ومنهجها العصري وتسمت بالمدارس القرآنية. وهي تجربة جديرة بأن تدرس، وتستخلص منها نتائج تفيد في استمرارها، ومحاولة تعميمها قدر الإمكان رجاء ما فيها من ثمار. وتحاول هذه الدراسة إظهار الأسس الفكرية والخلفية التاريخية للمدارس القرآنية بوادي مزاب، والأوضاع التي عاشتها على امتداد وجودها وتطور وبرامج تدريس مادة القرآن الكريم وتحفيظه فيها وأساليبه وآثارها العلمية والسلوكية.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ تحفيظ؛ المدارس؛ وادي مزاب، المدارس القرآنية .

Résumé

Les écoles coraniques - dans la vallée du Mzab (au sud de l'Algérie)- ont connue un développement dans le temps, de la (mahdarat) - au début- jusqu'au système d'école Coranique moderne; suite a l'impacte de la renaissance moderne, des mouvements de réforme dans le monde musulman, et le développement des programmes d'enseignement, depuis la troisième décennie du XXe siècle. Il est utile d'examiner et d'en tirer des résultats de cette expérience dans l'histoire de la société. C'est ce que cette étude a essayé de le montrer suite a l'examination des éléments suivants: les fondements des ces écoles coraniques au M'zab. les Conditions vécues par les écoles coraniques. L'évolution de l'enseignement du Coran dans ces écoles et ses méthodes. L'impacts scientifiques et morales des écoles coraniques dans la société.

Mots-clés: Coran, les écoles, la mémorisation du Coran, la vallée du M'Zab, les écoles coraniques.

مقدمة:

يعتبر تدريس القرآن الكريم والعناية بتحفيظه للناشئة خصوصا أحد المهام الرئيسة التي تضطلع بها دور العلم في الإسلام وخاصة المسجد؛ ومن هذا الجانب كان للمسجد في وادي مزاب على امتداد التاريخ وتحت ظل نظام العزابة . باعتباره نظاما علميا تعليميا واجتماعيا . الأثر الكبير في تحمل هذه الرسالة وأدائها، وقد وضع لها مؤسسة خاصة تحت رعاية المسجد، فيها يتعلم طلبة العلم القرآن كأول مادة دراسية في البرنامج حفظا وإتقانا لتلاوته، وأصبح حفظ القرآن الكريم شرطا ضروريا في انخراط الطالب ضمن سلك طلبة العلم ومواصلة الدراسة والتأهل للانضمام إلى هيئة إيروان (الطلبة الرواة للعلم) التابعة لنظام العزابة.

وقد عرفت مؤسسة تحفيظ القرآن الكريم تطورا واضحا جليا، فقد كانت في البداية حلقة وكتّابا على الطريقة التقليدية مثل غيره من الكتاتيب في المجتمع الإسلامي، وكانت تسمى في وادي مزاب **بمحاضر تحفيظ القرآن الكريم**، ومع بوادر النهضة الحديثة، وبأثر من ظهور حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، وتطور مناهج التعليم، أصبحت هذه المحاضر هي النواة الأساسية الأولى للمدارس القرآنية منذ بداية العقد الثالث من القرن العشرين، واتخذت شكلها ومنهجها العصري وتَسَمَّت بالمدارس القرآنية، مهمتها تحفيظ القرآن الكريم، إضافة إلى علوم الشرع للمبتدئين ثم تتدرج مع الطالب في مستويات التعليم المختلفة.

وأصبحت هذه المدارس مظهرا حضاريا للمجتمع، وضرورة حياتية يفكر فيها المجتمع وينشغل بإنشائها مع إنشاء المساجد والمصليات حتى أصبحت لصيقة بها.

ومرت هذه المدارس بمراحل من وجودها، عملت فيها أحيانا بكل اطمئنان ونشاط، وتأثرت في أحايين أخرى بالأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية التي مر بها المجتمع الجزائري، وكانت لها معاناتها، وتجربتها في طرق تدريس القرآن الكريم والاهتمام به، والتأقلم مع الأوضاع المختلفة، وفي التكيف معها من أجل المحافظة والإبقاء على أهم مكسب: **إنشاء وتنشئة أجيال قرآنيين**، ولهذه التجربة آثارها الواضحة على مسيرة الحياة الاجتماعية بمعناها الخاص بوادي مزاب أو العام في القطر الجزائري وخارجه.

وهذا البحث يحاول إظهار هذه الجوانب ودراسة وضعية هذه المدارس القرآنية من خلال العناصر التالية:

.الأسس الفكرية والخلفية التاريخية للمدارس القرآنية بوادي مزاب.

.الأوضاع التي عاشتها المدارس القرآنية بمدن وادي مزاب.

.تطور برامج تدريس مادة القرآن الكريم وتحفيظه في هذه المدارس وأساليبه.

.الأثر العلمي والسلوكي للمدارس القرآنية بوادي مزاب.

الأسس الفكرية والخلفية التاريخية للمدارس القرآنية بوادي مزاب.

يستند الاهتمام بالمدارس القرآنية في وادي مزاب على خلفية عقدية فكرية وعلى تجربة تاريخية من حياة المجتمع الإباضي بهذه المنطقة، وغيرها من المناطق التي شهدت وجود الإباضية عبر التاريخ بالمغرب الإسلامي خاصة.

فمن الناحية العقدية الدينية نجد الانتماء الإسلامي والضرورة الشرعية التي تفرض تعلم القرآن وتعليمه كما هو الحال في مجموع الأمة، ومن حيث الإرث التاريخي فإن هذه المدارس القرآنية تعتبر استمرارا لنظام حلقة العزابة الذي وضعه الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي.

أولا.الخلفية الإيمانية العقدية:

إن المرجعية الفكرية للمدارس القرآنية بوادي مزاب جزء من المظهر الإسلامي الموجود لدى جميع الأمة الإسلامية التي تلقت القرآن الكريم بالتواتر من لدن رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، فقد ورد في الآثار الأولى الباقية لدى الإباضية دراسة حكم تعليم القرآن الكريم وتعليمه للصغار خاصة، وجاء هذا في أول المدونة الكبرى لأبي غانم الخراساني التي تولى ترتيبها الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، حيث تحدث عن الموضوع ضمن وجوب تعليم الصلاة للصغار.

فقد قال أبو غانم: «ويؤدب على التعلم كما يؤدب على القرآن ولا يعذر والده ولا وليه بترك ذلك»[1].

وقال كذلك: «ومن السنة أن يعلم الصبيان من الدين ما احتملوا ليكون لهم عادة فإنهم يعلمون القرآن ويضربون عليه (...) وكذلك يؤخذون من العلم بما أطاقوا حتى يعتادوا به ويكرهون عليه كما يكرهون على القرآن»[2].

فهذه النصوص تبين أن المستند في تعليم القرآن الكريم للصغار خاصة ما ورد في المصادر الشرعية من الأمر بالاعتناء بالقرآن ونشره بين الأولاد وتعليمهم وأن ذلك يدخل ضمن مسؤولية الأولياء، وواجباتهم تجاه أولادهم، وأنهم محاسبون عليهم وعلى تعليمهم القرآن الكريم.

وهذا الواجب الشرعي هو الذي حمل المسلمين عبر العصور وفي مختلف الأمصار على اتخاذ الوسائل والطرق لذلك.

وفي المجتمع الإباضي يبرز هذا الاهتمام، ويتجسد في فترات تاريخية، ففي المغرب ظهر بارزا في ظل مؤسسة نظام العزابة التي نشأت أول ما نشأت نظاما تعليميا، ثم تطور ليصبح نظاما اجتماعيا متكامل المهام، ومتعدد المجالات، ولكن بقي وفيا للمهمة الأولى وهي التعليم والتعليم القرآني خاصة.

ثانيا. التعليم القرآني في ظل نظام العزابة:

إلى هذا النظام يعود وجود وبقاء المدارس القرآنية بوادي مزاب، وهو أصلها، فقد كان هذا النظام هو السبب في تعمير وادي مزاب، وكان لمؤسس الحلقة أثر واضح وجلي، إذ انزاح إليه جموع الإباضية من جهات مختلفة من المغرب الإسلامي، فاستوطنته، وعمرته، وجعلت منه منطقة عمرانية بعد أن كان واديا قاحلا وأرضا جرداء تكاد تخلوا من مظاهر الحياة، وكان أول ما تنشأ به المدن في الوادي المساجد على

1 . أبو غانم الخراساني: المدونة الكبرى، بترتيب الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، مصور من مخطوط، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، سوريا ولبنان، دون تاريخ، 01/1.

2. المصدر نفسه 02/1.

رؤوس الجبال حول الوادي، ومع المسجد كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، ونظرة سريعة إلى هذا النظام تتيح لنا معرفة مكانة تعليم القرآن ضمن مهامه التي تحملها، والأهداف التي سطرها وعمل على تجسيدها.

لقد كان النظام في أول أمره مدرسة متنقلة، أسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي بأمر من شيخه أبي زكرياء بن أبي مسور اليراساني، فجعله وسيلة للتعليم والتربية، ونشر العلم والدين بين الأوساط الإباضية بالمغرب، فأرسى مناهج التدريس العام في إطاره بما فيه حلقات التدريس القرآني، وكان يسير في التعليم على مراحل تبتدئ من تعليم القرآن الكريم للنشء ثم يترقى التلميذ إلى أن يصبح ضمن الطلبة الذين يحضرون دروس الفنون الأخرى من العلم على يد شيخ العزابة، وهو نظام داخلي يؤمه مجموعات من الطلبة الراغبين في اتباع منهج الشيخ، ويستعدون للالتزام بنظمه وتعليماته، ويتحملون تبعات المخالفة فيه أيضا.

ويقدم لنا الشيخ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد خلاصة عن سيرة هذا النظام وهو في عهده الأول من النشأة، تمكن من رسم صورة له كما يلي:

يتشكل أعضاء الحلقة من: الشيخ، والعرفاء، والتلاميذ، لكل منهم دوره المحدد، والغاية هي السهر على تعليم التلميذ، والقيام بما يحتاجه، والأخذ بيده عندما يخطئ، ومعاقبته عندما يظهر منه تعمد الخطأ، وسوء السيرة.

ويمتد التعلم من القيام إلى صلاة الصبح قبل الأذان إلى وقت العشاء، ونصيب من الليل لقيامه، تتخلل ذلك فترات مستقطعة للراحة والنوم، ووقت الأكل، ووقت لقضاء الحاجات، وكل شيء موقوت، فيه ما هو إجباري وما هو اختياري.

يتسم النظام بالصرامة والانضباط، لضمان ما يحتاجه التعلم من الطاقة والوقت وإحلال الجو العلمي الجدي، ويستدعي هذا ضرورة إقامة ضوابط وتشريع طرق للضبط، تهدف إلى مراعاة مصالح التلميذ والحيلولة دون تضييعه، وضياع مواهبه، وعدم تركه لهواه في وقت لا يمكنه أن يفرق فيه بين ما ينفعه وما يضره، ولذلك وضعت طرق للعقاب، تبعد عن الإضرار والانتقام من التلميذ، ولكنها لا تسلمه إلى

العبث والاستهتار، فلا يصل به الأمر إلى العقاب إلاَّ إذا ثبتت مسؤوليته، وتعمده الإضرار بالغير، وليس العقاب جسديا بقدر ما هو تربية روحية خلقية، وحرمان مما يمكنه أن يستفيد منه لو كان منضبطا، وسمي العقاب بالخطة، وهي هجران المعاقب وعدم التعامل معه حتى يعلن توبته، ورجوعه إلى الانضباط.

لذلك كان تعريفها في الأول ينبئ عن نظام تعليم يتدرج فيه الطالب من مستوى إلى آخر، وتقوم عليه مجموعة من المؤطرين محكمة التنظيم، تمتزج فيها التربية الخلقية مع التأهيل العلمي والتكوين الحياتي، لذلك تضمنت مهام عديدة تخدم في مجملها طالب العلم وتعده لتحمل الرسالة والعمل على نشر الدين وتعليم غيره.

ولم تكن الحلقة في الأول هيكلا اجتماعيا بل كانت حلقة علمية تربوية، فالانتماء إليها يكون حسب الرغبة لا بالاختيار، كما يذكر الدرجيني[1].

ويمكن أن نستعرض أهم هذه الوظائف التي يضطلع بها هذا النظام التعليمي كما يلي:

أولا. مهام شيخ الحلقة:

من مهام شيخ الحلقة متابعة التزام الأعضاء بالواجبات، ويبدأ بنفسه من أول اليوم، ويسهر على عملية استمرار حفظ التلاميذ للقرآن وتعهدهم بالمدارسة، وذلك ضمن مهمته في الاستفتاح قبل صلاة الصبح بتلاوة القرآن؛ يقول عنه الدرجيني في مهام شيخ الحلقة:

«ومنها الاستفتاح وهو قيامه في الثلث الأخير من الليل أو في الربع الأخير منه فيأتي إلى موضع الاستفتاح فيستعيذ ويبسمل، ويقرأ فاتحة الكتاب، ويبتدأ من حيث انتهى مجلس الاستفتاح من القرآن في الليلة التي قبلها، فيهب كل نائم فمنهم من يصير

1 . الدرجيني أحمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، دون تاريخ، 1/172 – 173..

معه في المجلس ومنهم من يخرج فيدرس وحده، لا يخرجون بأجمعهم ولا يصيرون إلى المجلس بأجمعهم، بل كيفما تيسر، فيقرأون القرآن حتى يؤذن مؤذن الصبح»[1].

ثانيا. مهام العرفاء:

فمن مهام أعضاء الحلقة مهمة عريف العرفاء وعريف الختمات والنوم، ومن خلال ضبط مهامهم يظهر أن المحور في العمل التربوي كان خدمة طالب العلم ومتعلم تلاوة القرآن الكريم خاصة، وفي ذلك قال الدرجيني: «يكتب عليه طلبة القرآن ألواحهم، ويصححونها ويحفظونها» وهم عدد كبير لا يحصى وليس في الحلقة عدد مضبوط لهم[2]، ربما لأنهم يخضعون إلى الطلب والرغبة في الانضمام إلى حفظ القرآن، حسب عدد التلاميذ.

وفي أثناء فترة الدراسة تظهر كيفية تولي العرفاء (المدرسون) مهمة التدريس ومتابعة الطلبة في قراءتهم، وكتابتهم للألواح، وتصحيحها، ويتولون أيضا تأديب الطالب عند تقصيره، يقول الدرجيني: «وأما عرفاء أوقات الدراسة فيتفقدون لأصحاب الألواح بين الظهر والعصر فإن أبطأ أحدهم إبطاء لا يعذر فيه فالخطة، وإن اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحه فالخطة، وإن سمعه العريف يقرأ خطأ وكان مع ذلك لا هم له بتصحيح لوحه فالخطة، وبين المغرب والعشاء، فإن أبطأ أو غاب أو اشتغل بما يلهيه أو شغل بما سواه فالخطة، وإن قام إلى الطعام اختيارا أو إلى نجوى فالخطة»[3].

ثالثا. ما يتعلق بالتزامات الطالب:

وللطالب وقته المحدد وبرنامجه اليومي بما في ذلك الوقت الاختياري والضروري: «فطلبة القرآن يقرأون ألواحهم بين الظهر والعصر حتما، وبعد العصر استحبابا»[4].

ويصحب وجوب الاعتناء بالتعلم وجوب الاعتناء بالهندام والالتزام باللباس اللائق بطالب العلم، والكيفية التي يجلس عليها، وطريقة إمساك اللوح، وحفظها كما جاء عند

1. المصدر نفسه: 1/172.
2. المصدر نفسه: 1/ 171 – 172.
3. المصدر نفسه: 1/178.
4. المصدر نفسه: 1/178.

الدرجيني: «وصفة هيئتهم حينئذ أن يشتملوا فلا يظهروا من أجسادهم شيئا ويسندوا ألواحهم إلى الأساطين، ويقابلونها غير مستندين ولا مكثرين من الالتفات، وبين العشائين في وسط الساحة غير مستندين، وقد أبيح لهم الاستناد في غير هذين الوقتين إن شاءوا»[1].

وزمن حفظ القرآن الصغر، فلا يُشغل الصغير بغيرها، حتى ينتهي إلى الاستظهار: «والأفضل للأصغرين ترك الاستناد فلا يتعرضون لما ليس بشأنهم، غير دراسة القرآن إلاَّ ما قد عناهم من العبادة وفرائض الإسلام، كالطهارات والصلاة والصيام، وما أشبه ذلك، فإن امتدوا إلى غير ذلك كره مشي الغراب مع الحمام على أنه من كان ذا فهم وقلب ذكي، ومن أعطاه الله قدرة على تحصيل هذا وهذا فلا بأس في الازدياد من الخير»[2].

ويحدد الفوج الدراسي في عدد يمكن للمعلم العريف متابعتهم، والوفاء بواجب إتقان مهمته، ولا يسمح بالزيادة إلاَّ في حال ضرورة: «والعرفاء من حملة القرآن ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، طلبة القرآن يملي عليهم ويصحح ألواحهم، ويأخذهم بالحفظ عن ظهر، فالجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون أكثرهم عشرة وأقلهم اثنين وهذا بحسب الاختيار وفي الأمر الأشهر العام، وأما مع الضرورات وعدم الرجال فلا حد لكثرتهم ولا لقلتهم»[3].

الأوضاع التي عاشتها المدارس القرآنية بمدن وادي مزاب على امتداد وجودها.

لقد كان لنظام العزابة أثره وظله على منهج تحفيظ القرآن، بوادي مزاب، خاصة بعد استقرار الحياة فيه، وتشييد المدن السبع به، وكان المسجد دائما هو المهيمن على الحياة، في مختلف جوانبها، العلمية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وظهرت هذه الملامح في الحياة بمزاب شكلا ومضمونا وكانت العمارة أحد أشكال تمكين هذه الأنظمة ومظهرا واضحا لها، فالمسجد الذي يشيد غالبا في أعلى مرتفع على البلدة، تلحق به دوما حجرة أو أكثر حسب الحاجة وتسمى بالمحاضر

1. المصدر نفسه: 178/1.
3. المصدر نفسه: 178/1.
3. المصدر نفسه: 177/1.

(واحدة محضرة) وهو المصطلح المعبر عن حجرة دراسة القرآن الكريم، يتولى فيها العرفاء تدريس الصبيان القرآن الكريم وتحضيرهم ليكونوا من الحفظة أو على الأقل ينالون قسطا من العلم بقراءة كتاب الله تعالى، يمكنهم من الوفاء بالضروري من الدين في شعائرهم التي يؤدونها، وكل حسب ما أوتي من فضل الله تعالى في تحمل كتابه الكريم.

وهذه المحاضر هي الشكل الأول للكتاتيب التي تولت هذه المهمة بوادي مزاب، وهي مرتبطة بالمسجد، وإن لم تكن وحدها، فقد شهدت بعض القرى محاضر خاصة غير مرتبطة بالمسجد، يبادر بإقامتها بعض أهل العلم في ديارهم، تشكل مدارس خاصة وسط المجتمع، وتعتبر رافدا في مجال التعليم القرآني بالوادي، وفي الغالب تكون هذه كتاتيب لمعلمين، وأحيانا لعلماء.

كما أن المحاضر التابعة للمسجد كانت خاصة بالذكور ولم يعرف أنه كان للبنات محاضر بهذا المعنى، إلاَّ أن هذا لا يعني أن البنت كانت ممنوعة من أخذ حظها من كتاب الله تعالى، لكن كان ذلك في إطار آخر، حيث شهد وادي مزاب دورا لتعليم البنت تقوم عليها نساء متعلمات، آخذات بنصيب من العلم، تولين تدريس الفتيات القرآن الكريم في دورهن أو دور خاصة لذلك، وقد تكون هؤلاء المعلمات من أعضاء الهيئة النسوية المرشدة للنساء بالبلدة، وتعرف بهيئة تيمسيريدن (الغاسلات) التابعة لحلقة العزابة.

إلى فترة قريبة بل وحتى القرن العشرين بقي الوضع على عهده القديم، محاضر تابعة للمسجد، وديار تطوع أصحابها لتحفيظ القرآن للذكور والإناث، ولكن نظرا للتطور الحاصل في مزاب فإن هذه المحاضر لم تعد باقية على النمط التي وضعت عليه أول مرة في إطار حلقة العزابة، إذ لحقها ما لحق النظام من تطوير بوادي مزاب، وأهم ذلك هو تفعيل هذا النظام ليخرج من اختصاصه بالتعليم، إلى أن يصبح نظاما اجتماعيا متكامل المهام، وبالتالي أصبحت حلقة تدريس القرآن فيه أحد المهام الكثيرة التي يتولاها، ودخلت ضمن هيكلته المحاضر الخاصة بالتحفيظ، وأصبحت مؤسسة ضمن مؤسساته.

وعند الدخول الاستعماري استمر الوضع على ما هو عليه رغم الصعوبات التي كانت تلاحق المدرسين والعلماء وكانت تطلب منهم التقارير عن تعليمهم والفنون التي يعلمونها والتلاميذ الذين كانوا يختلفون إليهم وأوقات التدريس[1].

ويمكن أن نورد إحصائين عن مدينة بني يزقن كما يذكرهما الأستاذ الحاج سعيد يعتبران نموذجين يعطيان صورة لوجود دور العلم بوادي مزاب أثناء الفترة الاستعمارية في بداية القرن العشرين[2] كما يلي:

الإحصاء الأول: نوفمبر 1902:

ثلاث محاضر تابعة للمسجد: يدرس فيها: الحاج يوسف بن احمد (30) تلميذا.

ومحمد بن عيسى بن يحي (25) تلميذا.

وسليمان بن حمو (24) تلميذا.

والقطب الحاج يوسف اطفيش (40) طالبا.

وست ديار تطوع أصحابها من أهل العلم لتدريس القرآن هم:

داود بن الحاج (20طالبا)، ويحي بن سليمان (18طالبا) وبكير بن سليمان بن عيسى البليدي (12طالبا)، والحاج ابرهيم بن مسعود بوسريح (12طالبا) والحاج ابراهيم بن محمد بن إدريس (10طلبة) والحاج موسى بن عمر (6طلاب).

والإحصاء الثاني. في سنة 1907: ثلاث محاضر تابعة للمسجد من القديم، تدرس 86طالبا، يدرس فيها: محمد بن عيسى، وسليمان بن حمو، والحاج محمد بن سليمان. وهي خاصة بالقرآن فقط.

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 1992، ص 122- 123؛ مصطفى وينتن: آراء الشيخ احمد بن يوسف اطفيش العقدية، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1998م، ص 57.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، ص 122- 123.

وست ديار تدرس 95 طالبا يدرِّس فيها:الحاج موسى بن عمر، والحاج ابراهيم بن محمد بن إدريس، وهي خاصة بالقرآن، وأيضا: القطب الشيخ اطفيش، والحاج إسماعيل زرقون والحاج سليمان بن محمد بن إدريس والحاج صالح بن عمر لعلي وفيها جميع الفنون.

وفي وثيقة أخرى عن الإحصاء العام لما في وادي مزاب من دور ومؤسسات التعليم الخاص نجد ما يلي:

.إحصاء للمحاضر وعدد التلاميذ بها حسب القرى يعود إلى سنة 1924م[1]:

القرية	عدد المحاضر	عدد التلاميذ
غرداية	6 محاضر	189 ت
مليكة	2 محضرتان	55 ت
بني يزقن	5 محاضر	100ت
بونورة	1 محضر واحدة	35 ت
العطف	محضرتان	45ت
بريان	محضرة واحدة	20ت
القرارة	5 محاضر	125ت
المجموع	22 محضرة	569ت

إن هذه الأعداد في مراكز التعليم وعدد التلاميذ الذين يؤمونها تظهر لنا مقدار الاهتمام بتدريس القرآن الكريم، واستمراره وعدم الانقطاع منذ فجر التاريخ الإسلامي بالمنطقة، وإن كانت الأعداد والإحصاءات هنا لا تمكن من المعلومات الدقيقة، فهي مستقاة من وثائق استعمارية لا يستبعد فيها عدم الإحاطة، وعدم إدراج التعليم الخاص بالبنات.

1.المصدر نفسه، ص 153.

لقد شهد وادي مزاب نهضة علمية مع بداية القرن الرابع عشر الهجري، ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي، يمكن إرجاع أسبابه المباشرة وانطلاقتها الفعلية إلى جهود الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش القطب، الذي تمكن من الاستفادة من جهود من سبقه من العلماء، وتأثر بالواقع في العالم الإسلامي عموما، وبالتغيرات التي حصلت فيه، وتحمل عبء استنهاض الهمم ومكافحة الاستعمار علميا أولا بوادي مزاب، فكانت لجهوده المباركة آثارها العظيمة على التعليم، إذ اعتبر التعليم بالنسبة إلى عمله أحد الواجهات المهمة التي فتحها ضد الوجود الاستعماري، وتابعه بعد ذلك تلاميذه الذين ظهرت على أيديهم ثمار فكره وآرائه وجهاده، وأهم هذه الآثار تطوير نظم التعليم بوادي مزاب، فتغيرت من مجرد محاضر للتحفيظ إلى مدارس للتعليم بالمعنى المعاصر الذي يجعل المدرسة تتكفل بمختلف أنواع العلوم وبالجنسين معا في سبيل نشر العلم وتحرير الإنسان من الجهل ونتائجه الوخيمة.

ويمكن تأريخ هذا التغيير بظهور الجمعيات الإصلاحية خاصة التي أنشأت المدارس القرآنية بالمعنى المعاصر، وهذا يعود إلى العقد الثالث من القرن العشرين، حيث أسست المدارس القرآنية بكل بلدة من وادي مزاب، وهذه المدارس[1]:

سنة 1921 مدرسة مليكة.

سنة 1923 مدرسة الحاج عمر بن يحي بالقراراة.

سنة 1925 افتتح معهد الحياة بالقرارة.

سنة 1927 مدرسة بني يزقن على يد الحاج صالح بن عمر لعلي.

سنة 1933 مدرسة بريان.

ابتداء من سنة 1932 مدرسة العطف حتى 1937.

سنة 1932 مدرسة الإصلاح بغرداية.

سنة 1947 مدرسة مسجد غرداية ومدرسة الثبات ببنورة.

1. المصدر نفسه، ص154.

وحتى تتمكن هذه المدارس من العمل، وتستطيع أداء واجبها فقد أسس لها جمعيات تستجيب للأمر الصادر من السلطة الاستعمارية سنة 1310هـ 1892م القاضي بمنع التعليم العربي إلاَّ برخصة، فتكونت الجمعيات الراعية لهذه المدارس حتى تتمكن من النشاط في إطار قانوني رغم ما لاحقها من العنت الاستعماري: وهي كثيرة في عددها منها ما هو بوادي مزاب[1] مثل:

.الجمعية الخيرية الوطنية 1927م وتسمت سنة 1946 بجمعية الفتح ببريان.

. جمعية الحياة بالقرارة أخذت الاسم سنة 1937م وكانت من قبل تعمل وتنشط بغير هذا الاسم.

. جمعية الإصلاح بغرداية في 14 أفريل سنة 1928.

. جمعية النهضة بالعطف من 1931 واتخذت هذا الاسم سنة 1945.

. جمعية النور في بنورة 1945.

وكان من أهم بنود هذه الجمعيات وهمها الكبير تدريس القرآن ونشره بين الناشئة[2]. وأعضاؤها من حلقة العزابة غالبا، لذلك لم تعتبر شيئا إضافيا في المجتمع، بقدر ما هي طريقة في التكيف مع الأوضاع، مع ما لا يخفى في هذا المنحى الجديد من تحسين أداء مهمة تحفيظ القرآن الكريم.

إذ أصبحت هذه المدارس مرحلة متطورة لنظام المحاضر القديم، الموروث عن نظام حلقة العزابة، واتخذت الأساليب الحديثة في التدريس وحسنت من وضعيته، شكلا ومضمونا، وكان لهذا التغيير في طرق التدريس من المحاضر على شكل الكتاب إلى المدارس القرآنية أثره على المجتمع، ولم يكن ليقبل بالسهولة، نظرا للأوضاع التي سادت الحياة العامة والعلمية أثناء الفترة الاستعمارية، ولا يخفى ما للاستعمار من يد في الوقوف ضد إنشاء المدارس، واستمرار بقائها، فقد عانى القائمون عليها الأمرين في سبيل الحفاظ على هذا المكسب.

1. المصدر نفسه، ص155- 156.

2. المصدر نفسه، ص 156.

وتمثلت المعاناة في مضايقات الاستعمار، وتأثر تمويل هذه المدارس والمدرسين بالضائقات المالية التي يتعرض لها القائمون على هذه الجمعيات الراعية لهذه المدارس، وبخاصة في بدايات التأسيس، كما واجهت بعد الاستقلال قانون توحيد التعليم الذي قضى على التعليم الأصلي، فكاد ينسف وجود المدارس القرآنية بوادي مزاب، لولا جهود القائمين عليها، من أجل الإبقاء على هذه المدارس تؤدي وظيفتها الأساسية وهي تحفيظ القرآن الكريم خاصة.

تلك أهم المراحل التاريخية والأوضاع التي مرت بها المدرسة القرآنية عبر وجودها بوادي مزاب، وبقيت صامدة تتأقلم مع الظروف لكن لا تتوقف عن أداء واجبها ورسالتها، والحفاظ على استمرار تعليم القرآن للناشئة. وفي غضون هذا التطور عرفت هذه المدارس تغيرا كذلك في أشكال أداء هذه الرسالة القرآنية، وما زالت تتطلع إلى مزيد تفكير في السبل المثلى للتعليم وفق معطيات الظروف المعاصرة.

تطور برامج تدريس مادة القرآن الكريم وتحفيظه في هذه المدارس وأساليبه

يمكن ملاحظة التطور والتغير في التعليم القرآني بوادي مزاب مجملا بالانتقال من نظام الحلقة الخالص إلى المحاضر ثم إلى المدارس القرآنية ثم إضافة أقسام التخصص كما يلي:

أولا. الانتقال من نظام الحلقة إلى نظام المحاضر:

ابتدأت المدرسة القرآنية بوادي مزاب بطريقة المحاضر التي يمكن تسميتها بالكتاتيب، تدرس القرآن الكريم للتلاميذ منذ نعومة أظفارهم، ولا يتوقف ذلك على طبقة معينة، من الأعمار، فكل من ابتغى القراءة والحفظ وجد المحضرة تفتح أبوابها أمامه.

لقد حلت المحاضر أول الأمر بوادي مزاب مقام نظام الحلقة التدريسية كما هو في حلقة العزابة، ويعتبر ذلك مظهرا من مظاهر تطور نظام الحلقة بوادي مزاب لما أصبح نظاما اجتماعيا، مهتما بتنظيم المجتمع والعمل على تحقيق التنظيم في مجالات متعددة من حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كذلك، فأصبح التعليم أحد المهام التي توكل إلى بعض

من أعضائه، وهنا تهيكل التعليم بين مؤسستين هما: المحضرة، وهيئة إروان، فالأولى تعنى بإعداد التلاميذ للانتماء إلى الثانية بعد تحصيلهم حفظ القرآن الكريم، فالمحاضر تتخصص في تحفيظ القرآن وهيئة إروان تتخصص في التعليم العام لمختلف الفنون العلمية.

وإذا نظرنا إلى المحضرة وهو ما يهمنا وجدناها تتهيكل على الشكل التالي:

يتولى التحفيظ فيها الفقيه أو رئيس المحضرة الذي انتقلت إليه مهمة شيخ الحلقة، لما أصبح للشيخ مهام أخرى، اجتماعية.

تمتد فيها أوقات الدراسة. خلافا لما كان عليه نظام الحلقة. بين طرفي النهار شتاء وخريفا، أو بين الظهر والعصر ربيعا وصيفا.

تعتمد الطريقة على الإملاء والكتابة على اللوح والتصحيح والاستظهار في قراءة القرآن الكريم وحفظه، ويتنافس في ذلك الطلبة كل حسب قدراته، إلى أن ينتهوا إلى حفظه الكامل واستظهاره.

بقيت المحاضر ملازمة للمسجد مجاورة له[1].

ثانيا. الانتقال من المحاضر إلى المدارس القرآنية:

بتأثير من التغيرات الاجتماعية وظروف الحياة، ودخول المدارس الرسمية التابعة للنظام التعليمي الاستعماري، ثم التعليم العام بعد الاستقلال، أصبح وقت التلاميذ محصورا، ولم يعد بالإمكان البقاء على النظام القديم للمحاضر، فكانت المدارس القرآنية التي نشأت منذ العقد الثالث من القرن العشرين قد عدلت في برامجها الدراسية وفي فترات الدراسة اليومية، وخاصة بعد الاستقلال حيث أصبح التعليم الرسمي متوفرا وواجبا، وضرورة حياتية بالنسبة للمجتمع الجزائري.

1. صالح سعيد ببهون وبشير موسى الحاج موسى: الجذور التاريخية للتعليم القرآني الحر بميزاب وتطوره غرداية نموذجا، بحث مرقون نشر مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية، 1422هـ /2001م، ص 14.

فتغيرت تبعا لذلك أوقات التدريس لتنحصر بين طرفي النهار، وتتقلص بذلك المواد الدراسية لتصبح مقتصرة على القرآن الكريم والمواد الشرعية واللغة العربية مما لا يجده التلميذ في المدرسة الرسمية أو لا يتلقاه إلاَّ في حجم ساعي لا يفي بالغرض أثناء الأسبوع.

لقد كان لهذا التحول أثره على التحصيل في حفظ القرآن الكريم خاصة، ولم يعد من طاقة التلميذ أن يصل إلى حفظ القرآن واستظهاره كاملا كما كان الأمر في سابق العهود، وخاصة مع برامج المدرسة الأساسية التي تستغرق أوقات التلميذ وطاقته، ولا تكفي في مجال تعليمه الشرعي، فكان لابد من الإبقاء على التعليم الشرعي وخاصة تحفيظ القرآن الكريم وتكييفه مع الظروف، عملا بمقولة: ما لا يدرك كله لا يترك جله.

وهذا في الحقيقة شكَّل تحديا كبيرا بالنسبة للمدرسة القرآنية، وسبب ثقلا عليها، وعلى المنتمين إليها، وجعلتهم بين أمرين: إما التنازل عنها وهو ما لا يمكن القبول به، وإما المزاوجة بين المدرستين مع احتمال ما يترتب على ذلك من أتعاب واعتباره مجاهدة في سبيل المحافظة على الشخصية الإسلامية والقيام بواجب التفقه في الدين.

وتبعا لذلك نجد أن هذه المدارس قد وضعت مقررات لتدريس القرآن الكريم خاصة يتوزع على مدى السنوات التي ينتمي فيها التلميذ إلى المدرسة منذ دخوله المدرسة الرسمية وعمره ست سنين، إلى أن ينهي مرحلة الدراسة في الثانوي، وقد تختلف مدرسة عن أخرى لكنها في العموم تتدرج من سنوات التلقين الأولى، ثم يترك التلميذ حسب قدراته يجتهد ويتنافس مع أقرانه في كتابة ألواحه واستظهارها، قد يصل به الأمر في المتوسط العادي إلى ختم القرآن الكريم قراءة واستظهارا أوليا على أقساط، وفي القليل يتمكن البعض من الموهوبين من الحفظ الكامل والاستظهار التام، ويصبحون من حملة القرآن الكريم[1]، وفيما يلي نقدم نموذج المدرسة الجابرية:

برنامج المدرسة الجابرية للبنين:

1. المصدر نفسه، ص 18، ولقاء مع معلمي المدرسة الجابرية (فرع الذكور) ببني يزقن.

يمكن تتبع نظام المدرسة الجابرية بنين ببني يزقن، كنموذج للتعليم القرآني وكيف تدرج فيه القائمون على التدريس في ضبط البرامج وتكييفها مع الواقع الذي يعيشه التلاميذ، ومع قدراتهم في التحصيل.

يرتكز البرنامج في الأساس على هدف هو الوصول بالتلميذ إلى أن يحصل أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم يدرسه على مجموعة من المعلمين طول مدة الدراسة كما يأتي[1] :

تمتد الدراسة على مرحلتين: في الأولى سبع سنين (وهي الابتدائي)، والثانية على أربع سنين (التكميلي).

يتبع فيها التلقين في السنوات الثلاثة الأولى من انضمام التلميذ، ثم بعدها يملى عليه ويكتب ثم يصحح له اللوح في المكتوب والمنطوق، ويحفظه ثم يستظهره، ويبقى على هذا المنوال إلى أن يختم القرآن الكريم كله بطريقة كتابة الألواح، ولكن الملاحظ في هذه الطريقة قليلا ما توصل إلى الاستظهار، إلاَّ عند البعض القليل من التلاميذ.

وبملاحظة أن مرحلة التنافس هذه لا تتيح للتلاميذ قسطا وافيا من القراءة والتعلم بسبب عدم الانضباط والتقيد بمراحل سنوية، تقرر رفع مرحلة التنافس الحر بين التلاميذ إلى السنة السادسة، وما قبلها كله تلقين يدرس فيه التلاميذ مقررا واحدا، حيث يمكن الوصول بالتلميذ إلى أقل قسط ممكن في السنوات الست إلى سورة ص، بعدها يترك حسب اجتهاده ومثابرته. وكانت المراحل والأقساط مقسمة على المستويات كما يأتي:

السنة الأولى	سورة الفاتحة ومن سورة الناس إلى سورة الأعلى
السنة الثانية	من سورة الطارق إلى سورة المزمل
السنة الثالثة	من سورة الجن إلى سورة الجمعة

1 . تأسست هذه المدرسة بهذا الاسم على يد الشيخ الحاج امحمد بن يوسف ببانو سنة 1942م وهي استمرار لجهود الشيخ الحاج صالح لعلي، في تطوير التعليم القرآني ببني يزقن.

السنة الرابعة	من سورة الصف إلى سورة الفتح
السنة الخامسة	من سورة محمد إلى سورة الزمر
السنة السادسة وما بعدها	تنافس حر

وإضافة إلى هذا الضبط فإن لمادة القرآن الكريم أثر إذ تعتبر مرجحا أساسيا لانتقال التلميذ من مستوى إلى آخر، فإذا لم يحصل فيها على المعدل أجبر على الاستدراك في العطلة الصيفية، ويستظهر الحصة التي بقيت له من القرآن، ويتعرض للرسوب وإعادة السنة إذا لم يوف بالمطلوب منه.

ومع إعادة النظر في البرامج باستمرار، وبغية التحسين من الأداء، والمردود التعليمي، فقد تغير البرنامج الدراسي في مادة القرآن الكريم بالمدرسة ابتداء من سنة 1999م ليصبح كله على مراحل وتلقينا للتلاميذ، لأن طريقة التلقين تتيح للمعلم ضبط البرنامج وإلزام التلاميذ باستظهار حصصهم، وبذلك يحصل التلميذ على قسط وافر من القرآن الكريم يتعلمه مقسما على سنوات الدراسة إلى أن يتخرج في آخر سنة، والهدف من هذا الوصول بالتلميذ إلى ختم قراءة القرآن وتلاوته على الوجه الصحيح، فيمكنه الختم على أقل التقدير، كما يأتي:

يتواصل التلقين حسب البرنامج السابق إلى مستوى السنة الخامسة ثم تتحدد المراحل كما يأتي:

السنة الخامسة	من سورة القتال إلى سورة ص
السنةالسادسة	من سورة الصافات إلى سورة الشعراء
السنة السابعة	من سورة الفرقان إلى سورة الإسراء
السنة الثامنة	من سورة النحل إلى سورة التوبة

السنة التاسعة	من سورة الأنفال إلى سورة المائدة
السنة العاشرة	من سورة النساء إلى سورة الفاتحة

وكانت الدوافع للجوء إلى هذا البرنامج الجديد متعددة أهمها:

. قلة الحجم الساعي المتاح للتلميذ بعد دراسته طول اليوم في المدرسة الرسمية.

. صعوبة العدل بين التلاميذ في فرص الاستظهار في نظام التنافس الحر بينهم.

. مراعاة التلاوة الصحيحة وتجنب الحفظ بالخطأ.

. الختم السريع كان أحيانا مدعاة للتكاسل منذ السنة السابعة.

. إتاحة فرصة للتكرار أوسع مما يعين على ترسيخ الحفظ.

. ربح الوقت بالتصحيح الجماعي للتلاميذ عوض تصحيح كل لوح على حدة.

. توحيد التقويم في الاختبارات، وإمكانية العدل والدقة فيه.

. وضع ملخص للسورة قبل بداية الحفظ مما يسهل الحفظ والتمعن والترغيب في القرآن الكريم.

. ضمان ختم القرآن الكريم قراءة صحيحة بالنسبة لمن استكمل الدراسة إلى آخر سنة في المدرسة، على خلاف البرامج السابقة التي لم تكن تصل إلى هذه النتيجة إلاَّ مع بعض التلاميذ النجباء.

هذا نموذج لمدرسة قرآنية يتدرج فيها التلاميذ في تعلم قراءة القرآن وحفظه، وعلى منوالها تسير المدارس الأخرى، وتختلف في بعض الجزئيات، ولكن تنتهي كلها إلى رغبة واحدة وهدف واحد هو تعليم النشء قراءة القرآن، وترغيبهم في حفظه.

والملاحظ هو بقاء بعض المحاضر في مزاولة نشاطها خاصة في بلدة غرداية، ولم تندثر بمجيء المدارس القرآنية، لكنها أصبح يؤمها الكبار دون الصغار، وأصبحت دورا ومؤسسات تتيح للكثيرين الاستزادة من قراءة كتاب الله تعالى وحفظه كله أو أجزاء منه[1].

1 . صالح سعيد ببهون، مصدر سابق، ص 20.

وفي العموم فإن هذه المدارس القرآنية لا ترى أنها بلغت مطامحها، وأنها حققت الأهداف كاملة، وخاصة هدف استظهار التلاميذ القرآن الكريم كله، لذلك لجأت إلى إضافة مرحلة أخرى يتخصص فيها الطالب للحفظ ولا يشتغل بغيره، ويقضي كل وقته في ذلك، حتى يتم حفظه واستظهاره القرآن الكريم في جلسة واحدة وتجلى هذا في إضافة الأقسام الخاصة بالحفظ والاستظهار.

الأقسام الخاصة بحفظ القرآن الكريم واستظهاره

لقد استدعى اللجوء إلى هذا الحل الوضعية التي يكون عليها طلبة العلم المعاصرين وأولياؤهم، حيث يقعون بين رغبتين، رغبة في نيل شرف استظهار القرآن وحفظه كاملا، ورغبة في التفوق والنجاح في المدرسية الأساسية، وفي الغالب والواقع أنهم لا يتمكنون من ذلك إلاَّ في القليل النادر، فاستدعى الأمر التفكير الجدي في إضافة مرحلة الحفظ والاستظهار.

إضافة إلى هذا فإن حلقات العزابة تشعر دوما بوجوب توفر الحفظة للقرآن الكريم حتى تتمكن من أداء مهامها، من خلال انضمامهم إلى الحلقة، ولاستمرار رسالة تعليم القرآن الكريم، ويتجسد هذا خاصة عند اختيار أعضاء الحلقة الجدد، وعند انضمام أعضاء جدد كذلك إلى هيئة إروان. فقد أصبح حفظ القرآن ضرورة ملحة لاستمرار العمل العلمي والاجتماعي ضمن حلقة العزابة.

وقد كان لمدرسة الحياة الفضل في المبادرة والسبق إلى هذا المشروع خاصة وأنه في البداية كان الانتماء إلى معهد الحياة مشروطا باستظهار الطالب للقرآن الكريم، فاستدعى الأمر الاعتناء بالاستظهار وتمكين الطلبة من ذلك، وكانت الدراسة تتسع للسنوات، ثم إذا أراد الطالب أن ينتمي إلى المعهد ويتلقى دروس الفنون الأخرى في المرحلة الثانوية، فعليه أن يتفرغ لحفظ القرآن في القسم المخصص لذلك، ويسمى بقسم المصلى لأنه هو قسم حفظهم للقرآن وهو أيضا مسجد صلاتهم بالمدرسة[1].

1 . صالح حدبون، مقال عن كيفية استظهار القرآن في معهد الحياة، دورية الحياة، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، العدد الثاني، سنة 1999م، ص 92.

وتعتبر تجربة مدرسة الحياة بالقرارة رائدة في الموضوع زمنا، ومنهجا، فقد كانت البداية فيها، وهي الأوسع تجربة والأكثر عددا في الطلبة، لذلك أصبحت نموذجا للمدارس الأخرى في السنوات الأخيرة، نلخص تجربة هذه المدرسة فيما يلي[1]:

يتفرغ الطالب للحفظ حسب الاختيار إلى أحد أنواع التفرغ:

1. التفرغ الجزئي: ويكون للطالب الذي ينتسب إلى الدراسة النظامية، فيكون له وقت بين طرفين النهار، من الفجر إلى السابعة صباحا، ومن الخامسة إلى السابعة مساء يحفظ أثناء ذلك القرآن الكريم، وفي غير هذه الأوقات هو في دراسته النظامية.

2. التفرغ الكلي المطلق: عندما يرغب الطالب في التوقف عن الدراسة تماما ولا يشتغل إلا بحفظ القرآن الكريم، فيكون كل وقته في المصلى، يستغرقه في الحفظ والاستظهار، وعند الانتهاء يعود إلى دراسته النظامية، ويقبل على هذا التفرغ تلاميذ المتوسطات أو الثانوي أو الجامعات.

3. التفرغ في العطل المدرسية: وهو وقت ينتهزه بعض الطلبة ممن يرغبون في الفوز بالحسنيين، فلا يتوقفون عن الدراسة، ولكن يأتون في العطل المدرسية، ويقضونها في حفظ القرآن الكريم، كل حسب قدراته، وخاصة عطلة الصيف، أو العطل الفصلية الأخرى، ويتم حفظه على امتداد عطلتين أو أكثر أو أقل.

وتمتاز تجربة القرارة بأنها تفتح أبوابها لمختلف الشرائح والأعمار من الطلبة، فلا تقتصر على الطلبة إذ يتنتمي إليها أحيانا غيرهم من الموظفين والإداريين وغيرهم، وكما أن للبنات أيضا نصيبهن من ذلك خاصة في السنوات الأخيرة.

والطلبة المتفرغون يخضعون لأنظمة تحدد البرنامج اليومي وكيفيات العمل، وهي مستمدة في الغالب من نظام الحلقة الذي هو أصل هذه المدارس، لكنه معدل بالكيفية التي يستجيب فيها للمتغيرات الزمنية، وينسجم مع المعطيات المعاصرة.

1. المصدر نفسه، ص 89 – 98.

وأقسام التخصص (المصليات) تكون في إطار الحياة الجماعية وفي النظام الداخلي مما يفرض الرقابة والسهر على اتباع البرامج وتوفير متطلبات الطلبة في حياتهم هذه فلا يشغلون ولا ينشغلون بغير حفظ القرآن الكريم، ما عدا ما يعتبر من الضرورات.

لقد سارت مدرسة الحياة على هذا النمط، وقامت بهذا الواجب النبيل وسدت بذلك ثغرة في المجتمع، مدة طويلة من الزمن كانت توفر فيها لمدن وادي مزاب الحفظة من أبنائه، لأنها تستقبلهم كل موسم دراسي وفي كل عطلة وما تزال، وفي السنوات الأخيرة أخذت المدارس الأخرى تحذو حذو القرارة في تخصيص أقسام للطلبة الراغبين في حفظ القرآن الكريم.

والخاصية التي تميزت بها هذه التجارب الأخيرة أنها:

.كانت على شكل تربصات مغلقة.

.تتحدد بمدة العطل الصيفية، ولا تتسع لكل السنة الدراسية كما هي الحال في القرارة.

.تختص كل بلدة باستقبال أبنائها من المتخرجين في مدرستها، خلافا للقرارة التي تفتح أبوابها للجميع.

.وهذه التربصات تشبه قسم المصلى بمدرسة الحياة في نظامها الداخلي، وفي تنظيم حياة الطلبة وضبط برامج حياتهم ودراستهم من بداية عملهم إلى منتهاه.

وهي بذلك تخفف الثقل عن مدينة القرارة، وتزيد من تلبية الرغبات المتزايدة على حفظ القرآن الكريم من التلاميذ والطلبة كل عام، في كل بلدة.

ونذكر في هذا المقام هذه التجارب الآتية على سبيل المثال:

.التربص الخاص بطلبة معهد عمي سعيد بغرداية وقد ابتدأ سنة 1994م.

.التربص الخاص بطلبة المدرسة الجابرية وقد افتتح أول مرة سنة 1996م.

.التربص الخاص بطلبة مدينة بنورة وقد أنشأ سنة1419هـ/ 1998م.

الأثر العلمي والسلوكي للمدارس القرآنية بوادي مزاب

إن تجربة تحفيظ القرآن الكريم بوادي مزاب، أوسع بكثير وأطول زمنا من أن يحيط بها عمل ودراسة مستعجلة، وجيزة، لما لهذا العمل من أهمية في حياة المجتمع، ولعدم انقطاعه منذ بداية ظهور المجتمعات والمدن بهذه البلاد، وقد كان لعناية المسجد ممثلة في جهود حلقات العزابة أثر بالغ في الحياة العلمية والاجتماعية بمزاب. ومن أهم هذه الآثار:

.استمرار القيام بواجب تعليم القرآن الكريم، كما أمر به ديننا الحنيف.

. توسيع قاعدة وعدد المستظهرين للقرآن الكريم، خاصة بالجهود التي تقوم بها مدرسة الحياة بالقرارة، إذ أصبح من الأعياد العلمية بها الاحتفال بتخرج دفعات حملة القرآن الكريم كل سنة، والذي تحصيه دورية الحياة كل سنة يدل على أهمية وعظم العمل، نذكر على سبيل المثال[1]:

الموسم الدراسي	عدد المستظهرين
97/96	82
98/97	77
2000/99	69
2001/2000	98

يضاف إلى هذه الأعداد عدد الذين يستظهرون في التربصات الخاصة.

.تربية أجيال قرآنية، وإعدادهم لتحمل المسؤوليات، وجعل تفكيرهم قرآنيا.

الخلاصة

إن هذه المحاولة لا يمكن أن تفي بالغرض المطلوب من العلم بواقع تحفيظ القرآن الكريم بمدارس وادي مزاب بقدر ما تفتح مجالا أوسع للاستزادة من البحث،

1 .انظر: دورية الحياة، الأعداد: 1، 2، 4، 5، ...

والوصول إلى عمق هذه التجربة، ذلك نظرا لاتساع الرقعة، وكبر حجم التجربة، لامتدادها في الزمان من القرن الخامس الهجري إلى أيامنا، مرت خلالها تجربة تحفيظ القرآن الكريم بمراحل عديدة وهي عند القائمين على العمل ما تزال تحتاج إلى مزيد دراسة وتقويم، في سبيل الوصول إلى الطريقة المثلى والأنجع والأكثر نتائج في الموضوع، ولكنها تبقى مع ذلك تجربة مهمة جديرة بالبحث، والدراسة.

والذي نستنتجه من نظرة أولية في الموضوع أننا نلاحظ هذا الاتفاق العجيب في أن عملية تحفيظ القرآن الكريم بهذه المدارس لم تتوقف من أول يوم بدأت فيها، وإن اختلفت أشكال التعليم فيها وأنماطه، وهذا رغم ما تعرضت له من مضايقات وأزمات في الفترة الاستعمارية، وفترة ما بعد الاستقلال بقليل.

ونلحظ كذلك كيف أن هذه المدارس حافظت على أصالتها في المحافظة على تحفيظ القرآن الكريم من جهة، وكذلك في البقاء على منهج واضع حلقة العزابة في بداية القرن الخامس، فقد بدأت على شكل نظام دراسي داخلي، فيه مستويان من التدريس: أول خاص بالصغار وتحفيظهم القرآن، وثان وهو مخصص للطلبة في تعلم الفنون الأخرى.

وقد تطور ففصل في وادي مزاب بين النوعين، باستحداث نظام المحاضر، وهيئة إروان، كل منهما يقوم مقام أحد المستويين.

وآخر المطاف في الوقت الراهن نلحظ العودة إلى البداية عندما استحدثت المدارس القرآنية الأقسام الخاصة بحفظ القرآن الكريم وتفريغ الطلبة لذلك مدة معينة، وبالنظام ذاته أو شبيه لما وضعه نظام العزابة فيما يخص حياة الطلبة وبرامج دراستهم اليومية، والانضباط والالتزام بالقانون الداخلي للحلقة، وجدناه قد رجع إليه القائمون على أقسام التخصص في تحفيظ القرآن الكريم.

هذا مما يدل على أهمية التجارب عندما تكون متواصلة، آخذا بعضها ببعض، فتثمر أحسن النتائج، وتتيح البقاء على الأصالة، والوصول إلى الغايات في أقرب الأوقات.

إن هذه المحاولة في الحديث عن هذه التجربة يحتاج إلى مزيد بحث، واستمرار لعله يمكن من الاستفادة منها أكثر.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى سواء السبيل، وإلى العناية دوما بكتابه العزيز.

والحمد لله رب العالمين .